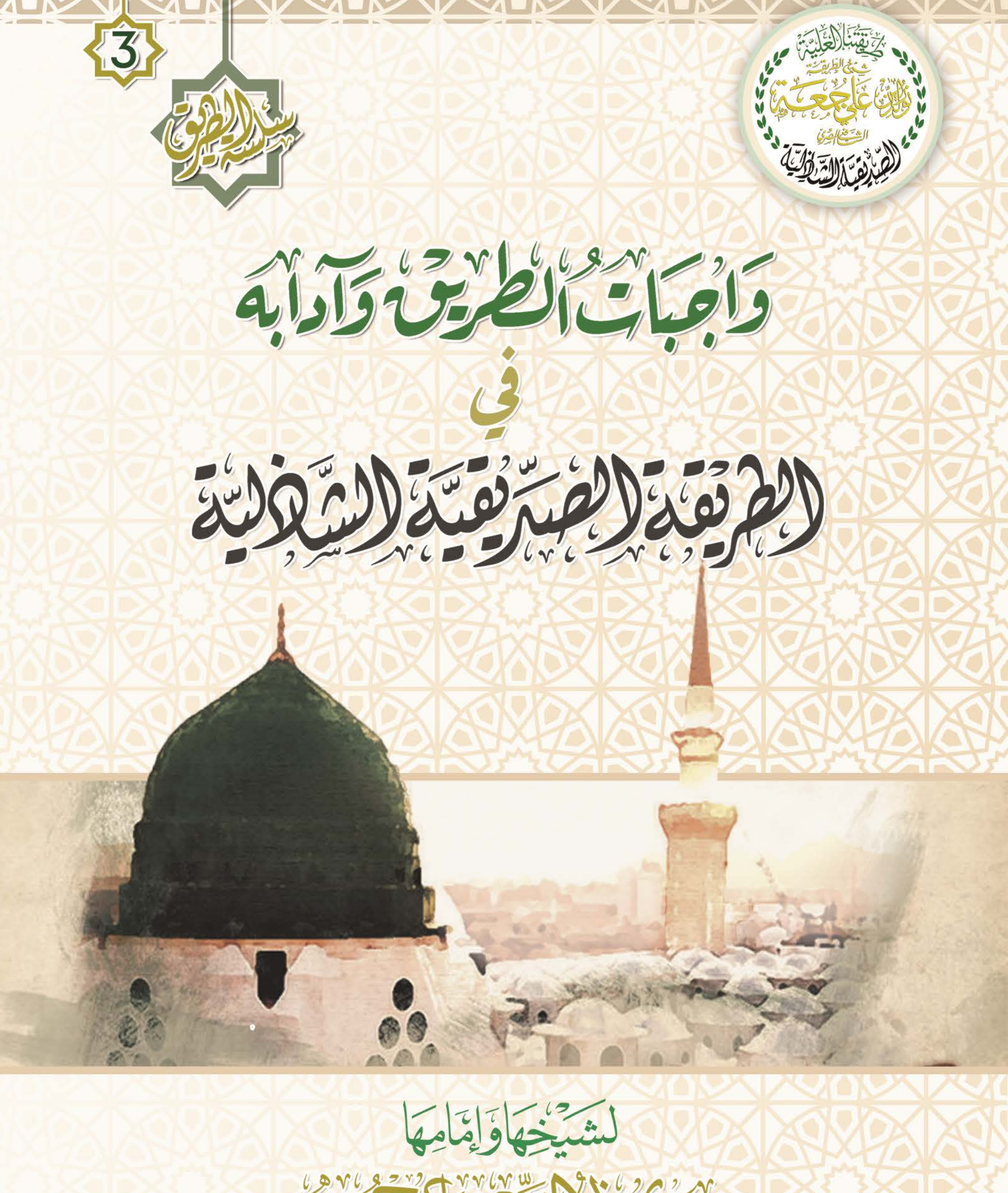


وَاجِبَاتُ الطَّرِيقِ وَآدَابُه

فِي

الطَّرِيقَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ الشَّاذِلِيَّة

لشيخها وإمامها

سيدي نور الدين علي جمعة

الشّافعي المصري

واجبات الطريق وآدابه
في
الطريقةالصديقية الشاذلية

لإمامها وشيخها
سيدي نور الدين علي جمعة الشافعي المصري

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ماهية التصوف

التصوف هو شق الإحسان في دين الإسلام، وهو تزكية النفس من الخَبَث: تَحَلِّيها بمكارم الأخلاق وتَخَلِّيها عن الرذائل، والتصوف يسعى لبناء الإنسان الفاضل، والمجتمع الفاضل، والعالم الفاضل.

التصوف هو إصلاح القلوب ومعالجة أمراضها، يهدف إلى تربية إنسان لا يعرف الحقد ولا الغل ولا الضغينة على غيره، إنسان لا يحسد ولا ينم، لا يعتدي ولا يجور على حقوق الآخرين، يعرف السلام مع الآخرين، وحسن التعايش والمجاورة والمعاملة والكرم والجود والتواضع، يحترم المخلوقات جميعا: صغيرها وكبيرها حيها وميتها الإنسان والحيوان والجماد، فهو ينظر إليها جميعا من حيث هي لله الخالق المحبوب.

التصوف هو بناء عقيدة الحب: حب الله حب سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الأنبياء والمرسلين ثم الأولياء والأصفياء والمقربين، حب كل ما أحبه الله ورسوله، والعطف على الخلق، والرفق بهم.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:15] وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 7 – 10] وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:152]

وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ". متفق عليه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة فقَالَ له النبي: "وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا». قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ عَمَلٍ لاَ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بَعْدَ الإِسْلاَمِ بِشَيْءٍ مَا فَرِحُوا بِهِ. [متفق عليه]

وقَالَ الإمام عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أمير المؤمنين: كُونُوا فِي النَّاسِ كَالنَّحْلَةِ فِي الطَّيْرِ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ وَهُوَ يَسْتَضْعِفُهَا، وَلَوْ يَعْلَمُ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنَ الْبَرَكَةِ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِهَا ، خَالِطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ

وَأَجْسَادِكُمْ وَزَايِلُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ، فَإِنَّ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. رواه الدارمي

التصوف والحياة الواقعية

[من كلام سيدي محمد زكي الدين إبراهيم]

ولما كان الصوفي يعامل الله في أشخاص خلقه، فهو يحافظ أبدا على ألا يراه الله حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره ، فكل ما يصدر عنه من أعمال الدنيا إنما يصدر عن إحسان وإتقان واحتياط، وإجادة مطلقة، ومفضية إلى كل تجديد وأمانة وعفة، وتقدم وابتكار ، فكل ذلك عنده عبادة مهداة إلى الحق، المستحق وحده العبادة في كل صورة من صور الحياة العملية والفكرية، حتى صور الترفيه والمتعة الحلال، فهي عند الصوفي عبادة يؤديها لله، بحكم أنه استخلفه في الأرض وأمره بعمارتها، بمختلف وسائل العلوم والابتكار.

ومن هنا يظهر الأثر الكبير للتصوف المستنير في دفع عجلة الحياة كلها إلى التسامي والتقدم، وهكذا نرى أن التصوف الحق إنما هو: دنيا ودين، وعبادة وخلق، وكفاح

وإنتاج، وظاهر وباطن؛ لأنه علم، وعمل تطبيقي سلوكي رفيع، من فاته نصيبه منه فقد فاته الخير الذي لا يعوض.

فمن هم الصوفية:

الصوفية هم عباد الرحمن الذين قال عنهم المولى عز وجل:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا

فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: 63 – 76]

الصوفية هم المعتصمون بما جاء به الوحي من العلم والعبادة والخلق والإحسان.

والصوفية هم المؤثرون بخصائصم المحبة والاتحاد والتعاون والسلام والتسامح والاحترام والبساطة والحضارة والعمارة، لا يسعون لجاه ولا سلطان ولا دنيا.

وهم كذلك المندمجون في الحياة بمواهب التسامي والدعوة والمرونة والرجولة والقدوة والوسطية، يعملون لله تعالى ولخدمة الأوطان.

قلوبهم مع الحق وأبدانهم مع الخلق، الجمع في الجَنَانِ والفَرْقُ في اللسان، وهذا هو مقام الإحسان.

وليس من التصوف الإسلامي القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه.

وليس من التصوف لبس عمائم الريش ولا حمل سيوف الخشب والصفيح والعكاكيز، ولا القذارة ولا البلادة ولا البطالة ولا الجهالة بدين الله، ولا المواكب الهازلة ، ولا ادعاء الولاية، ولا تسخير الجن في فعل الخوارق.

والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعىٰ بذمتهم أدناهم ، وهم يد علىٰ من سواهم .

فلا للمتاجرة باسم الدين: فالذين لا هم لهم إلا تمزيق الأمة وتفريق الشمل وزعزعة الأمن وزلزلة العقائد باسم التوحيد المظلوم والسنة المتهمة، فكل الناس عند مدعي التسلف من النابتة بين مشركين أو مبتدعين أو كفرة أو مارقين . فهؤلاء لا ولاء لهم للوطن ولا للدين، ولكن ولاءهم للدينار والدولار، ومهما حاولوا التستر باسم التوحيد والشرك والسنة والبدعة، فأمرهم مفضوح وعورتهم مكشوفة.

وطريق الله واحد.

فتتعدد أسماء الطرق الصوفية في مصر وغيرها بتعدد أوضاعها والانتساب إلىٰ كبار أشياخها، وكل هذه الطرق يعني الشرعية علىٰ كثرتها هي شيء واحد في حقيقتها، فكلها تبدأ بالتوبة وتنتهي بالمعرفة، فالبداية والنهاية فيها

واحدة، وإنما الاختلاف في المناهج والأساليب بين وحدة البداية والنهاية، ولذلك سميت الطرق بالمسالك.

فهذه المناهج والأساليب والمسالك والمشارب محل اجتهاد كبار أئمة التصوف فيما رجحه كل منهم للتسامي والسلوك مما يناسب مجتمعه وبيئته والجو العام من حوله، في حدود الوارد من الشريعة؛ فكما اجتهد أئمة مذاهب الفقه واختلفوا فيما يتعلق بصور العبادات والمعاملات وما يتعلق بها، كذلك اجتهد أئمة التصوف.

كلام في فضل الذكر
لسيدي عبد اللّه بن الصديق الغماري

إن ذكر الله جل شأنه تطمئن به القلوب وتمحىٰ به الذنوب وتفرج به الكروب. يزيل عن النفس شجاها ويقربها إلىٰ حضرة مولاها ، يلين القلب والجوارح فتخشع لعظمة الله وسطوته وتدمع العين فرقا من هيبته ويحرك الشوق من الذاكر فتهتز الأطراف توقانا إلىٰ القرب من قدس الله وسناه ويقوىٰ رجاء العبد في حصول مغفرة ربه ورضاه.

أمر الله به وبين فضله في غر آية من القرآن العظيم .

فقال تعالىٰ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة:152]

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:28]

وقال عز شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا

﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:42]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:35]

وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل : "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى ، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ

هَرْوَلَةً». رواه البخاري

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تبَارَكَ وَتعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لاَ أَيْ رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لاَ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا - قَالَ -

فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ». رواه مسلم

ولما كان الذكر بهذه المنزلة الشريفة والرتبة المنيفة : جعله الصوفية شعارهم ، واتخذوه وسيلة لتهذيب المريد، وتصفية روحه ، وتطهير نفسه من كدورات الأغيارن وتدرجوا بالمريد في أنواع الأذكار بحسب قوة استعداده وقوبل آنيته.

والذكر جائز بأي صيغة تخلو من اللحن والتحريف؛ لأن الشارع لم يفرض في الذكر صيغة معينة.

مبادئ عامة في الطريق إلى الله

أولا العفاف (الزهد).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ». رواه البخاري

وروى ابن حبان في صحيحه أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثلاث مرات ثم قال لي: "يا حكيم، إن هذا المال حلوة خضرة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى". قال حكيم: فقلت: يارسول والذي بعثك بالحق لا أسأل أحدا بعدك شيئا، حتى أفارق الدنيا .

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ

فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِىٰ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أَعْطَىٰ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ عَطَاءٍ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

رواه أبو داود

والصبر علىٰ خشونة العيش في الدنيا والزهد فيها والتقليل من استنفاد الوسع والطاقة في التمتع بها وكأنها غاية الأمر ونهايته.

قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ [التوبة:69]

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران:92]

ثانيا: الرفق بالخلق وتحمل أذاهم.

قال النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِى لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». رواه الترمذي

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: 17 – 19]

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ».

ثالثا: التيسير على الخلق.

عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها – قَالَتْ: مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَأْثَمْ ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِى شَىْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ. رواه البخاري

وَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- : «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ". رواه أبو داود

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا » . رواه البخاري

عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَىُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». وَقَالَ: « اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ». رواه البخاري

رابعا: موافقة الأعمال لكتاب الله وسنة رسوله.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّه قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » . رواه البخاري

قال سيد الطائفة الصوفية الجنيد البغدادي رضي الله عنه: "طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة، إذ الطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

وصايا وآداب وواجبات[١]

١) زِنْ أعمالك كلها بميزان الشرع، واعمل في سُنَّةٍ تُوَفَّقْ وَتَسْلَمْ مِنَ الذَّلَلِ.

٢) فخير ميزان يوزن به ابن الطريق في شتىٰ مراحل سلوكه أَلاَّ يكون للشرع في أعماله اعتراض، وألا يكون للمجتمع المؤمن الرشيد البريء من العواطف والأغراض علىٰ سلوكه انتقاد.

٣) عليك بنبذ فضول الدنيا، والتخلي عن مفاتنها، ولْتَدَعْ شَوَاغِلَها الصارفةَ لك عن ربك، واجعل الدنيا في يدك لا في قلبك.

٤) أُتْرُكْ كل الهموم والخواطر والأوهام، واجعل همك واحدا، وهو الله.

٥) اطرح التفكير فيما مضىٰ، وفيما هو آت، وكن أنت

---

١ - من كتاب واجبات الطريق، لسيدي عبد الفتاح القاضي.

في حاضرك فقط.

٦) عَمِّرْ قلبك دائما بذكر الله، ورَاقِبْهُ تعالىٰ في سرك وعلانيك، وفي جميع حركاتك وسكناتك.

٧) اسْتَعِنْ بالله في كلِّ أُمُورِكَ، وَاشْغَلْ قَلْبَكَ بالتفكير في آلائه وبَدِيعِ صُنْعِهِ.

٨) تَبَصَّرْ في أحكامه، وَارْضَ بِقَسَمِهِ، وَإِيَّاكَ والاعتراض عليه أو منازعته في قَدَرِهِ.

٩) فالتسليم بالقضاء عين المحبة. قَالَ سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم: "لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ". رواه أبو داود

١٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلىٰ الله

عليه وسلم-: «لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلاَلِ وَلاَ فِي إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنِ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لاَ تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أُصِبْتَ بِهَا أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ». رواه ابن ماجه

١١) تَخَلَّصْ مِنَ النفس ونوازعها، والجأ إلى الله في رد جنوحها.

١٢) أَخْلِصْ نِيَّتَكَ وَحَالَكَ وأعمالك وأمورك كلها لله تعالى.

١٣) اعْلَمْ يَقِينًا أنه تعالى معك ويراك، فَامْلأْ قَلْبَكَ بخشيته وجلاله.

١٤) فَرِّغْ بَيْتَهُ (قَلْبَكَ) وطَهِّرْهُ له، وإياك أن تُشْرِكَ فيه غيره، واحْذَرْهُ فإنه غَيُورٌ، فلا يراك حيث نهاك، ولا يَفْقِدُكَ حيث أمرك.

١٥) تَجَنَّبْ فضولَ الكلامِ، وفضولَ النظر، وبِذَاكَ يَرِقُّ

قَلْبُكَ وتكون مع الله، وهو يَتَوَلَّاكَ ويرعاك.

١٦) وعليك ألا تبدأ في عمل من أعمال الطريق إلىٰ الله حتىٰ تستأذن شيخك، وتعرض عليه أحوالك وما يطرأ لك في السلوك.

● **الزم أمورا أربعة هي لب الزهد والتصوف:**

قلة الطعام :

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31]

عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلىٰ الله عليه وسلم- يَقُولُ: «مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». رواه الترمذي

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلىٰ الله

عليه وسلم- يَقُولُ: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ».

رواه مسلم

فلا يملأ بطنه من طعام ولو كان حلالا، وكذا لا يطعم أو يشرب أبدا ما فيه شبهة، واللقمة الحرام تقطع سبيل الإجابة في الدعاء.

قال صلى الله عليه وسلم: "وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ".

وحدثنا سيدنا صلى الله عليه وسلم عن الرجل يدعو فيمد "يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ. وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» رواه مسلم

قلة الأنام:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:119]

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:28]

فالهرب الهرب والفرار الفرار ممن صحبته أو جلسته تضيع الوقت وتلهي الإنسان في الغيبة والنميمة وما يغضب الله عز وجل.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:68]

قلة الكلام :

قال تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا

﴿لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف:80]

وقال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق:18]

وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء:114]

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال: "مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ". رواه الترمذي

وقال النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ كَانَ يُؤمنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ". متفق عليه

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ

مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ». سنن النسائي

وعن أبي ذرٍّ ، عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال: "كان في صحف إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسلام: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أنْ تكونَ له ساعات: ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه ، وساعةٌ يُحاسِبُ فيها نَفسه، وساعةٌ يتفكَّرُ فيها في صُنع الله، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أنْ لا يكون ظاعنًا إلا لثلاث: تزوُّدٍ لمعاد ، أو مَرَمَّةٍ لمعاشٍ ، أو لذَّةٍ في غير محرَّم . وعلى العاقل أنْ يكونَ بصيرًا بزمانه، مقبلاً على شأنه ، حافظًا للسانه. ومَنْ حَسَب كلامَه من عمله قلَّ كلامُه إلا فيما يعنيه". صحيح ابن حبان

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ». ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ». فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وقَالَ: « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ». قال معاذ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا

نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». رواه الترمذي

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً يَهْوِى بِهَا فِى جَهَنَّمَ » . رواه البخاري

قلة المنام.

قال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:64]

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ

﴿١٩﴾ [الذاريات:19]

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:17]

أصول الطريق[٢]

ومما يجب على المريد :

١) أن يتقرب إلى الله تعالى بما شرعه وسنه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢) أن تكون عبادته خالصة لوجه الله تعالى مخلصا في قوله وعمله، دون رياء مستكفيا بعلم الله فيه، وإياه وحب الظهور؛ فإنه يقصم الظهور.

٣) أن يحفظ جوارحه عن المحرمات، ولْيَدَعِ الفُضُولَ في الأقوال والأفعال، والتدخل فيما لا يعنيه، وأن يطهر قلبه من الرذائل والخواطر النفسية، وألا يشغل نفسه بِهَمِّ الرزق وخوف الخلق، فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

٤) ألا يعترض على الخلق، وألا يركن إلى دنيا أو جاه، وإنما يعتمد على الله وحده، وأن يفوض جميع أموره لله

---

٢ – من كتاب المواهب اللدنية، لسيدي عبد الفتاح القاضي.

تعالىٰ، ويرضىٰ بقضائه في السراء والضراء.

٥) أن يكون عَفُوًّا صَفُوحًا عن زلات أخيه، ناصحا له إن أمكن، وألا يهجرَ أخاه فوق ثلاث، وأن يبدأه بالسلام إذا التقاه.

٦) أن يُحَلَّىٰ بالصدق في الأقوال والأفعال، وأن يتجمل بالصبر في كل أموره .

٧) أن تلازمه مراقبةُ الله تعالىٰ في السر والعلن .

٨) أن يُحْسِنَ الظَنَّ بربه والناس .

٩) أن يكثر من الصدقات؛ فإنها أقرب الطرق الموصلة إلىٰ الله تعالىٰ.

١٠) أن يجدد التوبة كلما وقع في هفوة أو شهوة أو غفلة.

١١) أن يديمَ الاستغفار، ويكثر من الصلاة علىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم .

١٢) أن يحاسب نفسه ويتهمها في كل شيء، متوسلا بجاه سيد البشر وبعترته الطاهرة.

١٣) وعليه التسليم الكامل لشيخه، والتفاني في خدمته، واتباع أوامره، وألا يعزم علىٰ أمر ذي بال حتىٰ يستأذنه.

١٤) أن يشغل أوقاته بمجالسة أهل التحقيق أو مطالعة كتبهم.

أسس العلاقة بينك وبين ربك
وبينك وبين الناس
وبينك وبين نفسك

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: 11]

وقال تعالىٰ: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القلم: 44]

فيجب علىٰ المريد أن يسعىٰ في تغيير حاله وترقية نفسه في المقامات حسب منهج النبوة في ذلك، فحينما نتبع المحجة التي تركها لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فإن حالنا يصلح، ونكون موضع نظر الله عز وجل، ويتجلىٰ الله علينا برحمته ومعونته وهدايته، فيرشدنا سبل السلام ويخرجنا من ظلمات أنفسنا إلىٰ نور الحق واليقين.

والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: "ابْدَأْ بِنَفْسِكَ". مرشدا

لنا بأن التغيير يبدأ من أنفسنا ثم تتسع الدائرة من حولنا، الأسرة والعائلة والمجتمع، وهكذا حتىٰ يتم الإصلاح والتغيير لكل ما حولنا من الكون.

أساس العلاقة بينك وبين الله: "لا حول ولا قوة إلا بالله". والتي تفيد حسن التوكل علىٰ الله، وأن تؤمن بأنه لا يكون في كونه إلا ما أراد، فيحدث لك التسليم بأمر الله، سواء أكان أمرًا كونيًّا، فلا تهتز أمام المصائب والبلايا، أو أمرًا شرعيًّا، فلا بد عليك أن تطيع ربك، وأن ترضيه، وأن تعود إليه؛ فيؤدي بك هذا إلىٰ التوكل علىٰ الله، والتسليم له، والرضا عنه سبحانه وتعالىٰ، قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة: 119].

فحينئذ ينظر إليك الله؛ بنظر التأييد والمعونة والعطاء.

الله خلقك، وهو يحبك ويرحمك، أرسل لك خير الرسل رحمة للعالمين سيدنا محمدا صلىٰ الله عليه وسلم،

فالعلاقة بينك وبينه مضيئة ومنيرة، والرهبة من الله تكون حرصا على محبته ورضاه، وتعظيما لقدره وإجلالا لشأنه، فَكُنْ حيث ما أمرك الله.

والدعاء هو العبادة وهو مخ العبادة كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: 60]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ». رواه الترمذي

ولكن نُهِينَا عن العدوان في الدعاء كأن نستعجل الإجابة. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ

دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِى » . متفق عليه

ومن العدوان الدعاءُ بالإثم أو القطيعة . عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ». رواه مسلم

ومن العدوان الانشغالُ عن الذكر بالمسألة.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِى عَنْ مَسْأَلَتِى أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِى السَّائِلِينَ". رواه الترمذي

وأساس العلاقة بينك وبين الخلق: مبني على العفو والصفح، قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة:13]

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: 85]

تصبر على أذى الخلق ولو كانوا مخطئين وأنت على الحق المبين، فالعفو والصفح هو منهج النبيين والصديقين.

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وأساس العلاقة بينك وبين نفسك: مبناها ذكر الله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ».

ذِكْرُنَا اللهَ على كل حال وفي كل آن يزيدنا إيمانا وتعلقا بحضرته جل جلاله، ومن ثم يفرج الله همومنا وييسر أمورنا ويدبر لنا أحوالنا أحسن تدبير، ويخرجنا من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن نزاعها ونكدها وكدرها إلى وسيع رحمة الله سبحانه وتعالى.

آداب المريد مع شيخه

الشيخ هو وارث علم النبوة فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وعليه فَلَزِمَكَ أيها المريد الأدب مع الشيخ والتوقير له لمقامه، فاخفض الصوت عنده، ولا تتعد أمره الجازم، ومهما تَبَسَّط معك فَالْزَمْ حَدَّكَ، واحفظه في السر والعلانية، ولا ترض عن أحد يذمه أو يقدح فيه، واحرص علىٰ رضا شيخك وكن في خدمته.

واعلم أنه لم يبلغ أحد إلىٰ مقام شريف إلا بالاجتماع بالأشياخ والأخذ عنهم وملازمة الأدب معهم ودوام خدمتهم، ومن صحبهم علىٰ غير طريقة الاحترام حرم فوائدهم وبركات نظرهم، قال الجنيد رضي الله عنه: من حرم احترام المشايخ ابتلاه الله بالمقت بين العباد فنسأل الله العافية.

وقال بعضهم: ما حرم المريدون الوصول إلا بتركهم

الاقتداء بالمشايخ، والسلوك بالهوىٰ، فطالت عليهم الطريق، وربما مات أحدهم في أثنائها ولم يحصل له حاصل.

وقال بعضهم: من جالس هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلبه الله نور الإيمان.

فآداب المريد مع شيخه: لا يتكلم بحضرته إلا جَوَابًا، وإذا تكلم خفض صوته، ولا يكتم عنه شيئًا مما خطر له محمودًا أو مذمومًا، لكن لا يذكر من الخواطر إلا ما دام وتكرر، وأن يسلم لشيخه جميع ما يقوله له، فلا يعترض عليه قطعًا ولو بالقلب، فإن الشيخ ربما أرىٰ المريد شيئًا لا حقيقة له مَكْرًا به لسوء أدب وقع منه، وإذا دخل عليه وفي حضرته غيره فلا يسلم إلا عليه.

ومن آدابه أن لا يأكل مع الشيخ حتىٰ يدعوه، ولا يمشي أمامه إلا ليلاً، ولا يذهب إلا بإذنه، ولا يفارق مجالس ذكره ولا درسه ولا وعظه أو تعليمه إلا لضرورة، ويقوم

لقيامه ويقبل عليه إذا جاء، وإذا أراد أن يذهب استشاره، ولا ينام بحضرته، ولا ينتاب ولا يتكئ ولا يستند علىٰ شيء، ولا يتربع إلا أن يأمره، ولا يأكل وهو ينظر إليه، وإذا أمره بأمر امتثل له، ولا يؤول كلام شيخه في أمره له أو نهيه بل يحمله علىٰ ظاهره، ويسعىٰ فيما ندبه إليه وإن كان ظاهره مخالفًا لظاهر النقل، فإن الشيخ أوسع اطلاعًا منه، ومأخوذ علىٰ الشيخ العهد بالنصح لكل مسلم، وبتقدير أنه غلط يبارك للمريد في امتثال أمره أكثر مما يفعله المريد بهوىٰ نفسه، وفي قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام في ذلك كفاية لكل معتبر؛ فإن موسىٰ لما أراد صحبة الخضر حفظ شروط الأدب فاستأذن أولاً في الصحبة ثم شرط عليه الخضر عدم المعارضة في حكم، فلما خالفه موسىٰ تجاوز الخضر عنه أول مرة والثانية وقال له في الثالثة التي هي أول حد الكثرة ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع

﴿عَلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾ [سورة الكهف] فإن موسىٰ في مقام التعليم، والخضر كان في علوم الباطن أعلم من موسىٰ بشهادة الله تعالىٰ وتزكيته.

قال تعالىٰ عنه: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾

وقال سيدي أبو السعود: المريد الصادق هو الذي لا يُتْعِبُ شيخه فيه. وكان يقول: ليس المريد من يتشرف بشيخه إنما المريد من يتشرف به شيخه.

ومن آدابه: أن لا يجلس قط بين يدي شيخه إلا وهو مستوقر، كجلوس العبد بين يدي سيده، وليحذر كل الحذر من الإكثار من مجالسته له فيهون عليه وتذهب حرمته من قلبه، فيُحْرَم بركته، ولا ينقطع به كما شأن نقباء الأشياخ.

ومن آدابه: إذا قام من بين يديه لا يوليه ظهره بل يقوم

موجهًا له حتىٰ يتوارىٰ بجدار أو غيره؛ فإن المريد لا يرتقي إلا إن لزم حرمة الشيخ، فإن تأدبه مع شيخه يرقيه إلىٰ الأدب مع أكابر الحضرة الإلهية، فإذا تأدب مع أهل الحضرة ترقىٰ إلىٰ الأدب مع الله ، فمن لم يتأدب مع شيخه فهو في حضرة الدواب، فإذا دخل مكان الشيخ ولم يره جلس متأدبًا كأنه بين يديه، وعليه إكرام أولاده وأصحابه وأصدقائه وعشيرته حتىٰ ما لا يعقل، في حياته وبعد مماته، ويدخل السرور عليه ما أمكنه، كتبليغ سلام محب أو ثنائه، وإذا سمع من أحد شيئًا يكرهه في حق شيخه لا يُبَلِّغُهُ إليه، وعليه رَدَّهُ ما استطاع، والجواب عنه بالأجوبة الحسنة، وإقامة الدليل إن قدر، وإن لم يرجع هذا المُنْكِرُ لزمه البعدُ عَنْهُ وعدم مجالسته له، وأن يكون لشيخه عنده من المحبة والاعتقاد ما لا يوازيه أحد من أهل عصره حتىٰ ينتفع به.

واعلم أن عمدة الأدب مع الشيخ هو المحبة له، فمن لم

يبالغ في محبة شيخه بحيث يؤثره علىٰ جميع شهواته لا يفلح في الطريق.

وأجمعوا أن شرط المحبة لشيخه أن يصم أذنيه عن سماع كلام أحد في شيخه، فلا يقبل عزل عازل، ولو غاب عنه الطعام والشراب لاستغنىٰ عنهما بالنظر إليه لتخليه في باله.

ومن آدابه: أنه إذا حصل منه جناية علىٰ أحد بغير حق وجب عليه أن يقر بين يديه بالجناية علىٰ الفور، ثم يسلم لما يحكم به عليه شيخه من العقوبات للنفس علىٰ تلك الجناية، وأجمعوا أنه لا يجوز للشيخ التجاوز عن زلات المريدين؛ لأن ذلك تضييع لحقوق الله عز وجل.

ومن آدابه: أن لا يفعل مع شيخه شيئًا يُوحِشُ قلبه منه؛ فإن الله يغضب لغضب الشيخ، ويرضىٰ لرضاه؛ لأن الشيخ لا يأمر المريد إلا بما أمر الله، فمن خالفه فقد خالف الله، ووقع في غضبه بحسب تلك المعصية من

كبيرة أو صغيرة، فيا شقاوة من غير قلب شيخه عليه وقتًا من الأوقات.
وقد حُكي عن سيدي محمد الشناوي أنه قال: مما مَنّ الله عليَّ به أني ما دخلت قط علىٰ شيخي إلا وميزان عقلي مكسورة، وأرىٰ نفسي تحت نعاله، ولا أخرج من عنده إلا بمدد وفائدة.
ومن آدابه: أن لا يطلب من شيخه رد الجواب من رؤية رآها أو حادثة حدثت له، بل يذكر حاجته ويسكت؛ فإن أجابه شيخه كان، وإلا قَبَّل يَدَهُ وانصرف، وأعرض بقلبه عن الجواب؛ لئلا يصير شيخه محكومًا بإلزام الجواب له.
ومن آدابه: أن يكون فَطِنًا لما يأمره به الشيخ أو ينهاه ولا سيما بحضرة من ليس من القوم، بل يفهم بالإشارة والرمز.
قال سيدي علي وفا: لا تطلب من شيخك أن يمنحك الأسرار وأنت لم تَطْهُرْ من أعمال الفجار.

آداب المريد مع إخوانه[٣]

أساس أدب المريد مع إخوانه الاحترام والمحبة والرفق.

فمن ذلك أن يعلم أن المسلمين كالجسد الواحد، يعين بعضهم بعضا في المعروف، ويدفع بعضهم عن بعض المكروه.

عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

وإذا أراد الله بعبد من عبيده خيرا وفقه لمعاشرة أهل السنة وأهل الستر والصلاح والدين ورده عن صحبة أهل الهوى والبدع والمخالفين. روى أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ

---

٣ - آداب الصحبة للسلمي، بتصرف.

أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ".

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ ».

وللمسلم على أخيه حقوق يؤديها إليه:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ». قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ». رواه البخاري

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ - أَوْ قَالَ لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». رواه البخاري

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ

يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . رواه البخاري . وفي رواية مسلم قال: "وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ : « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ».

وإياك أن تتبع عورة أخيك.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِى جَوْفِ رَحْلِهِ ». رواه الترمذي

لا تحسد أحدا على نعمة لله اختصه بها، وافرح لإخوانك

إن أنعم الله عليهم، واحمد الله على نعمته عليك واسأله المزيد والفضل.

قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) [النساء: 54]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا». رواه البخاري

تحلى ببشاشة الوجه ولطف اللسان مع إخوانك، وكذا سعة القلب وكظم الغيظ وإسقاط الكبر وملازمة الحرمة وإظهار الفرح بما رُزِقَ. عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم-: «تَبَسُّمُكَ فِى وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ".

فلا تكن عبوسا متجهما غضوبا متكبرا فظا ضيق الأفق، يكرهك الأهل والله والناس، كهؤلاء الذين يؤذون الناس من المتمسلفة بفروعهم المختلفة واستكبارهم، كن بشوشا متفتحا طلقا سمحا داعيا إلىٰ الله ميسرا علىٰ الخلق، رفيقا رقيقا شأنك المحبة والسلام، ولا ترم الناس بالشرك أو الكفر.

قال تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

وشارك بجهدك ومالك ويدك ولسانك في مجاملات إخوانك والتعاون معهم في السراء والضراء، وتحمل أذاهم، واجعل من نفسك مثلا لمكارم الأخلاق، وقدوة للدعوة إلىٰ الله بكل الحب والاحترام والسماحة، والعفو عن السيئات .

آداب المريد في نفسه

قال الشيخ السمنودي في تحفة السالكين: "ومنها: أن يكون ورعاً عن الحرام والشبهات في مأكله ومشربه ومنطقه وسمعه وبصره ويده ورجله وقلبه وفرجه. قال إبراهيم بن أدهم: أطب مطعمك، ولا عليك بعد ذلك أن لا تصوم في النهار ولا تقوم في الليل. يعني نفلاً، وليحذر المريد من الورع رياء وسمعة، فإنه يزداد بذلك مقتًا وبعدًا.

ومنها أن يحفظ المريد أوقاته عن الضياع في اللهو والغفلة، وألا يملل من العبادات. ومنها أن تكون أعماله علىٰ وفق الشريعة المطهرة، فإن الشريعة هي الحد القاطع والسيف اللازم لعصمتها. ومنها أن يقلل النوم ما أمكن لا سيما وقت الأسحار، فإنه وقت الإجابة والعطاء والتجليات. قال سيدي إبراهيم الدسوقي: كيف يدعي المريد الصدق في الحب، وهو ينام وقت الغنائم،

ووقت فتح الخزائن، ووقت نشر العلوم وإظهار المكتوم.
ومنها أن لا يشبع إذا أكل، قال سيدي إبراهيم الدسوقي:
قوة المريد الصادق الجوع ومطره الدموع ووطره الخشوع،
يصوم حتىٰ يرق قلبه ويلين وتدخله الرقة. ومنها أن لا
يكون عنده حسد ولا غيبة ولا بغي ولا مخادعة ولا
مكابرة، ولا ممارات ولا ممالقة ولا مكاذبة ولا كبر ولا
عجب ولا افتخار ولا حظوظ نفس، ولا تصدر في
مجالس، ولا رؤية نفس علىٰ أحد من المسلمين، ولا
جدال ولا امتحان ولا تنقيص لأحد من أهل الطريق
وتقدم بعض ذلك. ومنها أن يسد علىٰ نفسه باب مراعاة
الخلق فلا يلتفت لأحد من المخلوقين أقبل عليه أو أدبر
عنه؛ ولا يطلب له مقامًا عند أحد منهم. ومنها أن يوبخ
نفسه ويحثها علىٰ السير في الطريق، كلما أوقفت مع
حظوظها، ويقدم حذف العلائق علىٰ كل عمل؛ فإنهم
قالوا: مثال من خزن عنده درهمًا، مثال من ربط نفسه

بحبل الفيل، ومثال من خزن دينارًا مثال من ربط نفسه بحبل البير، ومن زاد في الدنيا زاد في الحبال، وينبغي له كلما تعب من عبادة يقول لنفسه: اصبري فإن الراحة أمامك، وإنما أريد بتعبك راحتك في الآخرة. ومنها أن يكابد خواطره ويعالج أخلاقه وينفي الغفلة عن قلبه بمداومة الذكر والفكر، وأن يعمل دائما علىٰ تنظيف ظاهره وباطنه من الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله كالغضب وعمىٰ النفس والعجب والحسد والكبر ونحو ذلك، قال المرصفي: قد عجز الأشياخ ولم يجدوا للمريد أسرع لجلاء القلب من مداومة الذكر. ومنها أن لا يستبطئ الفتح عليه بل يعبد الله لوجهه سواء فتح الله عين قلبه ورفع عنه الحجاب أم لا، فإن العبادة من شرط العبودية ، وقال سيدي محي الدين ابن العربي: إياك أن تترك المجاهدة إن لم تر أمارة الفتح بعدها. وقال: احذر أيها المريد أن يكون قصدك من ذكرك وعبادتك الأجر

والثواب؛ فإن ذلك حاصل لك لا محالة، وإنما ينبغي أن تكون همتك التلذذ بمناجاته تعالىٰ والفوز بمجالسته، فإن من عزم علىٰ مجالسة السلطان ينبغي أن لا يهتم بما يأكل ولا يشرب ما دام في خدمته. وقال بعضهم: فترة المريد بعد المجاهدة من فساد الابتداء، وكل مريد صادق لا بد أن يترك الدنيا مرتين: الأولىٰ بترك مطامعها ونعيمها وجميع شهواتها، الثانية أن يترك جاهها، وتبجيل الناس له لأجل تركها؛ لأنه إذا عرف بالزهد في الدنيا عظمه الناس حتىٰ الملوك ضرورة، فيكون تركه لذلك أعظم من تركه الأول، لكن إذا أخذ الدنيا بعد رميها بقصد التستر لا يكون إلا لمن لا أتباع له، أما من له أتباع فربما يتبعونه فيهلكون. ومنها أن يأخذ بالأحوط في دينه ويخرج من خلاف العلماء إلىٰ وفاقهم ما أمكن طالبًا وقوع عبادته صحيحة علىٰ جميع المذاهب وأكثرها؛ فإن رخص الشريعة إنما جعلت للضعفاء وأصحاب الضرورات والأشغال.

وصية سيدي محمد بن الصديق الغماري

أوصيكم بتقوىٰ الله في السر والعلانية والإقلاع عن الأمور التي تستوجب الحرمان، فإن طلب الإمداد بغير استعداد كالسفر بلا زاد.

وأوصيكم بمراعاة الأنفاس، وحفظ الحواس، والرضىٰ بالموجود، والصبر علىٰ المفقود، والوفاء بالعهود، وكثرة الركوع والسجود، وترك التدبير والاختيار مع المدبر المختار، بالسنة والاقتداء بالأئمة، ومرافقة المتبتل الطائع ومجالسة المنبيب الخاشع، ومعاشرة الوفي الخاضع، وزيارة الساجد الراكع.

وكن يا أخي جوال الفكر، وجوهري الذِّكْرَىٰ، كثير العلم، عظيم الحلم ، واسع الصدر.

وليكن ضحكك تبسما، واستفهامك تعلما، ناصحا للغافل، معلما للجاهل ، لا تؤذ من يؤذيك، ولا تدخل فيما لا يعنيك، ولا تشمت بمصيبة ، ولا تلوث لسانك

بغيبة، صادق القول، بارئا من الجهل والحول، واقفا عند الشبهات، أبا لليتيم، بُشْرَاكَ في وجهك، وحزنك في قلبك، مشغولا بفكرك، لا تفش سرا، ولا تهتك سترا، كثير العبادة، طالبا أبدا للزيادة، كثير الصمت.

تحمل أذىٰ من جهل عليك عفوا ممن أساء إليك، ترحم الصغير، وتوقر الكبير، أمينا علىٰ الأمانة، بعيدا علىٰ الخيانة، صبورا عند الشدائد ، قليل المؤونة ، كثير المعونة، طويل القيام، كثير الصيام، تصلي رهبة وتصوم رغبة، غاضا للطرف، قليل الزلل ، كثير العمل، أديبا مع الأولياء، كلامك حكمة، ونظرك عبرة، قليل الضجر، لا تكشف عورة، لا حقودا ولا حسودا، تطلب الأمور من أعلاها، معمرا الأرض بجسمك، وللمقابر بروحك، لابسا ثياب التواضع، متجردا من الطمع ، متوكلا علىٰ المدبر الصابع.

ومما أوصيك به:

1 – أن تقوم بالوظائف الدينية القلبية والقالبية، ففيها السعادة الأخروية والراحة الأبدية.

2 – ومن الوظائف النطق بالشهادتين، مع اعتقاد معناهما، الذي هو : ثبوت الوحدانية لله ذاتا وصفة وفعلا، وثبوت رسالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تصديقه فيما جاء به عن الله.

3 – واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

4 – ومنها: أداء الصلوت الخمس، في أوقاتها المعينة لها، مع إيقاعها في الجماعة، والإتيان بجميع شروطها، من الطهارة الكبرى والصغرى واستقبال القبلة وستر العورة وإتقان الوضوء .

5 – المحافظة على النوافل كالوتر وركعتي الفجر، والسنن القبلية والبعدية.

6 – والمحافظة على الزكاة: فأدوها إن وجبت عليكم،

ولا بد؛ فإنها طهارة وبركة وسبب الغنى.

7 – احفظوا جوارحكم: الأذن والعين واللسان والبطن واليد والفرج والرجل من المنهيات.

فاحفظوا ألسنتكم من الكذب والغيبة والنميمة والزور والبهتان، وأيديكم من إذاية الناس في أبدانهم وأموالهم، وبطونكم من الحرام، وفروجكم من مماسة ما لا يحل لكم، وأرجلكم من المشي في غير طاعة الله، وقلوبكم من العجب والكبر والرياء والحسد والبغض والغل والحقد والغش والخديعة والمداهنة وحب الرياسة والتقدم وحب المدح وخوف الذم والاهتمام بالرزق، والخوف من الخلق.

8 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

9 – تفكروا في مصنوعات الله.

10 – تزاوروا في الله . تحابوا فيه. وواسوا محتاجكم.

وصلوا أرحامكم. وعودوا مرضاكم. وتواصوا بالحق. وتواصوا بالصبر. واحتملوا أذى الخلق. ولا تجالسوا من يقطعكم عن ذكر الله. ولا تخالطوه؛ فإنه يميت قلوبكم، وفي موتها فساد الدين وضعف اليقين.

11 – ولا يسيئوا لأحد من عباد الله ،ولا تخافوه ولا ترجوه؛ فإن الأمور كلها بيد الله، ولا يملك أحد لأحد منها ضرا ولا نفعا ولا خفضا ولا رفعا.

12 – وصونوا قلوبكم من الطمع في الخلق، فإنه الفقر الحاضر، والذل الظاهر.


الوابل الصيب
الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
ت/
01286386643
01090495360